فصام

رقص المهرّج على الحبل الرفيع، وهو يضحك ساخرًا، يقوم بحركاته البهلوانيّة في براعة فائقة، يقفز من بين حلقات النار، ينام على المسامير، وهو يضحك ضحكة عالية، والمشاهدون يصفقون ويشهدون على براعته.

يداعب فتاة صغيرة يهديها بالونات ملوّنة، تبتسم الطفلة؛ فيثقب البالونات وقبل أن يضع العبوس بصمته على الوجه الصغير؛ يخرج لها من أنقاض البالونات باقة زهور ملونة تطير منها فراشات، فتضحك مصفقه وتقبّله على وجنته، يتحسّس القبلة لحظات، وترتسم في عينيه كلمات، وهو ينظر للفراغ.. تتلاشى سريعًا؛ ليكمل العرض.

يضعونه في مدفع، وهو يهلل وتهلل معه القاعة، يطلقونه ليحلق في الهواء، تلك أكثر لحظات العرض والعمر... سعادة.

كم تمنّى لو ظلّ طائرًا محلّقًا بعيدًا عن الأرض، يتشبّث بالحلم الذي ينفلت منه، وهو يسقط بفعل الجاذبية؛ ليرتطم بالأرض، تتغير ملامح وجهه بشكل

لا يلاحظه أحد يقوم منتفضًا بسرعة، وهو يبتسم ابتسامة، يزيد من اتساعها المكياج، حانيًا رأسه ليلقي التحية على الجمهور، الذي يصفّق له بحماس شديد.

انتهى العرض.

ذهب المهرج في تباطؤ شديد متحاملاً على نفسه إلى غرفته الفقيرة، يجلس على الكرسي، أخذ يزيل مساحيق التجميل والابتسامة الحمراء المبهجة، ليترك مجالاً للدموع؛ لتجري على وجنتيه، وهو يخلع ملابسه؛ التي أدمتها المسامير، واحترق من تحتها جلده وتكسّرت عظامه؛ لينظر لنفسه في المرآة، ويبتسم ابتسامة ساخرة بطرف شفته، لا يكاد يراها من بين الدموع؛ التي تغشى عينيه.

ذلك الوجه الذي يراه في المرآة هو سرّ عذابه، ذلك الوجه المحترق هو السبب في هجر زوجته وخوف ابنته منه، ذلك الوجه الذي هزمه هزيمة لا يداويها تصفيق جمهور العالم.